08-11-2015

الشيخ جمال الدين سيروان

الصلح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وشفيعنا وقرة أعيننا محمد وعلى آل بيته الأطهار وعلى صحابته الأبرار وعمن سار على دربهم في هذه الدار، اللهم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، تب علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم، اغفر لنا ذنوبنا أجمعين، اللهم يا غافر الذنب يا قابل التوب يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم، يا قديم الإحسان يا حنان يا منان يا ذا الجود والإكرام، يا ذا الفضل والإنعام، احرسنا يا ربنا جميعًا بعينك التي لا تنام، واكنفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاؤنا، يا رجاء السائلين، يا رجاء السائلين، يا رجاء السائلين، يا مجيب المضطرين، اللهم إنا وقفنا في عتبة فضلك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين لا تردنا عن بابك خائبين، اللهم يا أرحم الراحمين إنا توجهنا إليك بذلنا وافتقارنا، جئناك يا إلهنا راجين عفوك فاعف عنا، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا، اللهم اغفر لنا ما مضى من ذنوبنا، اغفر لنا ذنوبنا كلها قديمها وحديثها، صغيرها وكبيرها، سرها وجهرها، أولها وآخرها، عمدها وخطأها، دقها وجلها برحمتك يا أرحم الراحمين، اغسلنا يا ربنا جميعًا من ذنوبنا بالماء والثلج والبرد، ونقنا من خطايانا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم جئناك يا أرحم الراحمين، أتيناك يا أكرم الأكرمين، ناديناك يا إلهنا يا إله المستضعفين، اللهم إنك ترى ما نزل بأهل الشام اللهم إنا نسألك أن تكون معهم، اللهم احفظهم وقهم بقدرتك يا رب العالمين، اللهم عليك بعدوك وعدوهم من الروس والإيرانيين، اللهم شتت شملهم، فرّق جمعهم، أقلل عددهم، اللهم اكسر شوكتهم، اللهم اكسر شوكتهم، اللهم اكسر شوكتهم واجعل يا ربنا سلاحهم عليهم، اللهم اجعل سلاحهم عليهم، رد كيدهم في نحرهم بقدرتك يا رب العالمين، اللهم كن مع إخواننا أهل اليمن يا أكرم الأكرمين، احفظهم بحفظك واكلأهم برعايتك يا أرحم الراحمين، اللهم عليك بعدوك وعدوهم من أولئك الذين يرمونهم بسوء بقدرتك يا رب العالمين، اللهم وإنا نسألك أن تحفظ المسلمين أجمعين بقدرتك إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، اغفر اللهم لنا لآبائنا ولأمهاتنا ولأزواجنا ولأولادنا ولذرارينا ولأشياخنا ولذوي الحقوق علينا ولإخواننا الحاضرين والغائبين ووالديهم وللمسلمين أجمعين، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

أحبتي الكرام، في اشتداد الأزمات، وتراكم المصائب، والكوارث، والمُلمَّات، اللجوء إلى المولى سبحانه وتعالى هو الباب، والله تعالى قد علَّم عباده الأبرار فطالبهم بالصبر، والمصادرة، والمرابطة، والتقوى، حتى ينالوا الفلاح ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. صبر، مصابرة، مرابطة، تقوى، عناصر جعلها القرآن الكريم هي السبيل إلى الفلاح في الدنيا، وإلى الفلاح في الآخرة، نحن اليوم أمام الأزمات التي تتعاظم، والكوارث التي تتفاقم، أمام ذلك كله لأواء شديدة، ومرارات حسيرة، إنما تعكر صفو القلوب، وتدمع العين دمًا عوضًا عن الدمع، ذلكم لما ترون وتسمعون، كيف جاء هؤلاء الأعداء الألدّاء، وهؤلاء الذين فقدوا في أنفسهم معنى الإنسانية، فالوحوش لعلها تكون أرحم منهم، هؤلاء الذين أفقدهم مما هم فيه من نعم أنعمها الله عز وجل على الناس، فاستخدموها فيما ترون، ولكننا بيقين مع الله عز وجل، وبالله عز وجل، ومن الله عز وجل، بأن الله سبحانه وتعالى بالغ أمره، ومن يتوكل على الله فإن الله ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾. كذلك الله تعالى قد قرّ لكم في كتابه الكريم، فنحن قد قلنا ونكرر القول بأننا قوم لم نمتحن بما امتحن به أهلونا، لا في اليمن، ولا في الشام، ولا في ليبيا، ولا في العراق، ما امتحنا، ونسأل الله تعالى أن يحفظهم وأن يحفظنا، لا نطلب المحنة، ولكن إن امتُحِن أهلونا وإخواننا فينبغي أن نكون في قلوبنا في أقل المقادير معهم، وألا نكون موصّفين، وألا نكون أيضًا منظّرين، وألا نكون من الناصحين الذين يريدون الاستعلاء على أولئك المصابين، أولئك في مصابهم ليس لنا إلا أن ندعو الله تعالى أن يثيبهم على ما هم فيه، وأن يثبتهم، وأن يجعل لهم فرجًا من لدنه إنه السميع القدير المجيب.

وأعود وإياكم إلى مائدة سيد الخلق سيدنا رسول الله ﷺ، في خاتمة هذا الباب: كتاب الإمارة والقضاء، حيث صنف المصنف عنوانًا، فقال: الخاتمة في الصلح، في الصفحة الحادية والسبعين، وكنا قد تناولنا فيما سبق ما يتعلق بالقضاء في الإسلام، والذي بناه الله عز وجل على العدل، فقيمة العدل هي القيمة التي من خلالها تُستنثر كل القيم، فقيمة العدل إن لم تقم فلا قيمة لكل القيم، لذلك النبي ﷺ أول ما رسخ، رسخ قيمة العدل، فالعدل منه تنتج الحرية، والعدل منه ينتج المساواة، والعدل منه ينتج دفع الظلم، والعدل هو الذي يمكن أن يجعل الناس جميعًا في حرية قولهم، وبيان رأيهم، العدل، كذلكم كان العدل، ألم يكن العدل مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سمته في حكمه، وهو الذي روضه الإسلام، ذلكم أن عمر رضي الله تعالى عنه كلنا نعلم كيف أن الله بنى شخصيته على أن تكون شخصية الإقدام والاقتحام، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنما كان عنده عنفوان رجولته، وقوة شخصيته، وإقدامه في مواقفه، كذلكم كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، جاءت يد الإسلام فروَّضت هذا الطبع، فجعلت من عمر بن الخطاب ذلك الإنسان البالغ في العنفوان، إلى ذلك الإنسان البالغ في التواضع، ألم يقف يومًا على منبره رضي الله تعالى عنه يتلمس العدل ومصالح الإسلام، ولما رأى بأن الناس قد بالغوا في المهور، فما كان منه إلا أن يأتي إلى الناس ينصحهم، بل يتخذ قرارًا إداريًا باعتبار كونه حاكمًا، فيقول لهم إن من سبقكم وهو رسول الله ﷺ في زواجه التي تزوجه من أمهاتنا أمهات المؤمنين، وفي بناته اللواتي زوجهن وهن أشرف النساء، فما زاد مهر إحداهن على اثنتي عشرة أوقية من الفضة، وأوقيات الفضة هذه لا تزيد عن ست مائة غرام فضة، أي قدر يسير في الحد الأعلى، أما في الحد الأدنى فهذا يكون بين الناس بالتراضي، إذن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أراد أن يقول للناس خذوا مقاصد الشريعة، فالأمر في الزواج ليس مبنيًا على المهر، مبني على التآنس والتجانس، وعلى أن يكون ما بين هذين الفريقين هذه السكينة التي جعلها الله تعالى في القرآن الكريم، وتلكم المودة التي تعهد الله تعالى بين هذين القلبين، إذن إياكم أن تشغلوا أنفسكم بشيء من حطام المال أمام ذلك المقصد الهَامْ، ألا وهو الزواج الذي جعله الله آية من آياته، إذن مقصد عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مقصد عظيم جدًا، لكنَّ هذا المقصد العظيم لما يصطدم مع نص، فإذا بامرأة وما كان لمثل هذه المرأة، أو لرجل يقف في وجه عمر بن الخطاب، فإذا بامرأة تقف أمامه وهو يقف في خطبة الجمعة إمامًا بالمسلمين، أنتم تتصورون أن حاكم الأرض التي سطع نور الإسلام فيها، فكان القياصرة والأكاسرة منزوين أمام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وإذا بامرأة تستطيع بعدل الإسلام وحريته، وبنقاء الإيمان وفطرته، أن تقف تلك المرأة لتصحح المفهوم لأمير المؤمنين لعمر بن الخطاب، للذي ألهمه الله الصواب، للذي وافق ربه في ثلاث، للذي وافقني ربي في ثلاث، عمر بن الخطاب هذه الشخصية العجيبة، تقف امرأة من الصحابيات الجليلات لتقول له أي أمير المؤمنين، نجلُّ مقصدك الذي تقصد، ولكنك قد صادمت آية في القرآن، فالله قد أعطانا وأنت تحرمنا؟ قالت له الله أعطانا، وأنت تحرمنا مما أعطانا الله، فتنبّه لها سيدنا عمر، وماذا أعطاكن الله يا امرأة؟ قالت: إن الله تعالى هو الذي أعطانا في القرآن الكريم: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾. فأطرق عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وقال: ويحك يا عمر، كل الناس أفقه من عمر، أصابت امرأة، وأخطأ عمر، كل الناس أفقه من عمر، هكذا يقولها عمر بن الخطاب وبكل بساطة وسلاسة، لما وجد النص، ولما قامت قيمة الحرية، ولما انتصرت تلك المرأة قامَةً إسلامية من خلال قرآن يهديها إلى رشدها، ويعطيها حقها في بيان رأيها، إذا بالإسلام الكريم العظيم أنتج لنا هذه الحضارة التي حرمناها في أيامنا هذه، أيامنا توالت خمسة عشر قرنًا ليجد هؤلاء المستبدين، المجرمين، الظالمين، الآثمين، الطغاة، الذين يقفون في وجه شعوبهم لأنهم قالوا وهم أطفال نريدها حرية، نريدها أن نكون متعايشين شعبًا واحدًا، والآن تقوم الأمم كلها لأجل أن تحقق ذلك وهمًا وسرابًا، وهي ترى ذلك القتلى الذي يفتك بالناس، ويقولون إننا نريد أن نحارب داعش، ولا نحارب من أنتج داعش، وهم يقولون إن هذا المجرم الأثيم هو الذي أنتج داعش، إذا كان هو الذي أنتج داعش، فلماذا تأتون إلى المنتَج ولا تأتون إلى المنتِج؟ هل يحارب المنتَج دون المنتِج؟ هل تحارب النتيجة دون المقدمة؟ هكذا يسوغون ويقولون باسم حقوق الإنسان، هكذا نرى بأنهم يكافئون المجرم على جريمته، ولكن جاء الإسلام لأجل أن يقول لنا: ﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. وهنا يعلمنا الإسلام أيضًا قضية هامة، وهي العلاقات فيما بين المسلمين، لأنه لا يمكن أن يقوم للإسلام راية والمسلمون في حقيقة وجودهم غير مترابطين، وغير آخذين بزمام المبادرة إلى قيم الإسلام، بكل أسى وأسف إننا نجد المسلمين اليوم بعيدين كل البعد عن مفاهيم الإسلام، إنما يتلبسون بطقوس، ولكنهم بعيدون عن تلك المرامي والأهداف، ولذلك تجد القرآن الكريم هنا يشير إشارة واضحة، حين يقول لك قوله سبحانه في القرآن: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

هكذا العنوان بهذا الفصل، إذن ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾. إذن، الإصلاح بين الناس أو الأمر بالصدقة، والمقصود بالصدقة هو النظر إلى أحوال المؤمنين الذين يتضورون في جوع بطونهم، أو الذين يعرون في أجسادهم، أو الذين يعانون من أمراضهم، أو الذين يغتصبون في حقوقهم، هؤلاء كلهم لا خير في كثير من نجوانا، ما النجوى؟ النجوى اسم مصدر من النجاة، والنجاة أو النجوى أو النجوة، النجوة والنجاة مصدر، يعني في اللغة العربية الآن أتحدث إليكم، نجوة ونجاة، وهي المكان المرتفع من الأرض، لذلك سمي نجوى، ولذلك سمي المتناجي مع المتناجي يسمى التناجي، لأنه نجا أي بعد عن ذلك الإنسان الآخر فلم يُسمِعه، لذلك سمي التناجي، والنجاة إنما سميت نجاة لأنه ابتعد أيضًا عن مواقع الهلاك، ولكنَّ الأصل في المعنى الرأسي للنجوى إنما النجوى من النجوة، والنجوة هي المرتفع من الأرض، والمرتفع من الأرض ناءٍ عن سطحها، ألاحظتم المعاني العربية كيف يتواصل بعضها مع بعض؟ فإذن أصل النجوة مرتقى، تسمى نجاة، فالنجاة إذن مرتقى استطاع أن ينأى عن نفسه عن سطح الأرض، ولما يكون الإنسان في مآس واستطاع أن ينجو منها، إذن استطاع أن يعتزي تلك المآسي وينجو، لذلك قال القرآن: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾. كل هذه المناجاة التي يريدون من خلالها الخروج من المآسي ليس منه فائدة فيها، إلا إذا كانت مناجاة بأمر بمعروف، أو صدقة، أو إصلاح بين الناس، هكذا القرآن يقول، لا خير، هنا (لا) نافية للجنس، أي ليس هناك ذرة من خير على الإطلاق، إلا إذا كان منصبًا في هذا الهدف ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. عن عائشة الصدّيقة رضي الله تعالى عنها، عن النبي ﷺ، قال: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم" أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم. رواه الشيخان والنسائي. وعن سهل الساعدي رضي الله عنه، قال: كان بين بني عمر قتال، فبلغ النبي ﷺ، فصلى الظهر ثم أتاهم يصلح بينهم. رواه البخاري والنسائي. وعن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال: "ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيرًا، أو نمى خيرا" رواه أبو داوود والبخاري. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال:"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة" رواه أبو داوود والترمذي، وزاد: "لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين" نسأل الله الستر والتوفيق، آمين، آمين أمين، والحمد لله رب العالمين.

هكذا ختم هذا الفصل هذا الباب بهذا الفصل العظيم، الذي هو الصلح بين المسلمين، والصلح بين المسلمين وخاصة فيما نرى في أيامنا المعاصرة إنما يبتدر كما أراد القرآن بالإصلاح ما بين زوجين ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. والصلح خير، والصلح خير، ماذا قال بعد ذلك القرآن؟ قال: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. وهنا تأتي المعركة المطهّرة لتلكم النفوس، لقد جُبلت النفوس على حب الذات والدوران حول الأنا، وجُبلت على حب التملك، وما جبلت على الإعطاء، لذلك الله تعالى طلب من الإنسان أن يروض نفسه حتى يصبح معطيًا، وحتى يصبح منفقًا ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾. فالله تعالى يضرب لنا المثل في الزوجين الذين اختصما، بعد حياة مرت بحلوها ومرها، بنقائها وصفائها، وبسوادها ومرارتها، ذلكم أمر الحياة، لا يمكن أن تمر الحياة بين اثنين على أن تكون مشرقة على الدوام، لأن طبع النفوس أنها تغضب لحظة، وأنها تؤوب إلى الصواب لحظة أخرى، فلا يمكن أن يكون اثنان يقومان فيما بينهما كملكين يتعاملان، لا بد إلا أن يحصل بين هذين الاثنين شيء من خلاف في وجهات النظر، إما بأن قضية من القضايا إنما التبس الأمر بينهما في الفهم لها، أو أن أحدهما أخطأ في حق الآخر، ألم يكن ذلك مع أزواج النبي ﷺ وهو سيد الخلق ﷺ، صاحب الخلق العظيم ﷺ، إذا به عليه الصلاة والسلام يأتي أزواجه الطاهرات، وإذا بهن إنما يأتلفن لينشئن حزبًا واحدًا، رغم أنهما كانا حزب يمين وحزب يسار، كانا حزبين، كان زواج النبي ﷺ حزبين، لكنهما ائتلفا حزبًا واحدًا بعد أن فتح الله سبحانه وتعالى على رسول الله ﷺ في الغنائم، فإذا بهن كن يرغبن أن يكون لهن مثل ما لنساء كسرى وقيصر، ويرغبن أن يكن لهن عطاء ثر غزير، فإذا بهن يأتلفن على الرسول ﷺ، فيهجرهن رسول الله ﷺ، ويأتي إلى مشربته ويقاطعهن ﷺ، إذن إن هناك أمرًا يمكن أن يقوم، لما أجرى الله تعالى هذا في بيت الحبيب عليه الصلاة والسلام، إذن يمكن أن يجري هذا في كل بيت أم لا يمكن أن يجري؟ فلذلك لا يمكن أن نقول لزوجين ائتلفا بينهما، وجعل الله تعالى المودة في قلبيهما، أنهما سيبقيان على ذلك دون أن يعكر صفو ذلك شيء من خلافات بينهما، لا بد أن يقوم ذلك، ولكن إما أن تقوم الخصومة كما قال لنا شيخنا الشيخ عبد الكريم رضي الله تعالى عنه كان يقول لنا إن هناك إن الخصومة خصومتان؛ خصومة الأكابر، وخصومة الأصاغر، خصومة الأكابر، كخصومة النبي ﷺ مع أزواجه، وكخصومة الأصحاب الكرام فيما بينهم، أما اختصم عمر وأبو بكر رضي الله تعالى عنهما؟ هي خصومة أكابر، هي خصومة أكابر يسعى فيها كل من الكبيرين إلى أخيه، ويسارع فيه لأجل أن يأتي إليه يسترضيه في كل أمر من أموره، هذه خصومة أكابر، لكن خصومة

الأصاغر هي التي قال القرآن عنها: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. هنا لما يأتي المصلح ما بين الزوجين ليقارب وجهة النظرين، فإذا به يريد أن ينال من هذا الزوج شيئًا من خفض الجناح، فإذا به تستبد نفسه، ويأتي الشح ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. يعني الشح كان حاضرًا موجودًا في مجلس الصلح، والشح أدناه شح المال، أدناه شح المال، شح العواطف هو أعظم وأبلغ أنواع الشح، تجد الإنسان والعياذ بالله متى ما قال النبي ﷺ: "أبغض الرجال إلى الله الألدّ الخَصِم" الألدّ الخَصِم الشحيح في العواطف، شحيح في العفو، شحيح في المسامحة، لا يسامح، تنّح، خلص، متى جاءه القضية تصلب والعياذ بالله، ينفق ماله كله لأجل أن يبقى في إصراره على رأيه، بتذكر قصة طريفة الشيخ للشيخ حسن حبنكة -يرحمه الله- بعض التجار في دمشق اصطدموا فيما بينهم في قضية من القضايا، وما أكثر ما يجري الخلاف، وقامت بينهما معركة في القضاء، ومحامون، وأموال، وقضاء، المهم في الختام جاءوا إلي، قال والله نوسطك، ونرغب أنه نزور سيدنا الشيخ حسن حبنكة، فذهبت للشيخ أنا رضي الله عنه، قلت له سيدي، في هدول سين وعين من أعيان أهل دمشق، من كبار تجارها، وفي عندهم مشكلة انتهى، فبدأوا هذا الفريق وهذا الفريق، تحدثوا بالأصل المشكلة، وهذا رأيه وهذا رأيه، فالشيخ وفّق بينهما إلى أن وصلنا، الفريق قال هنا الشح، قال له سيدي والله أنا كل مالي بحطه، وأضعه الآن هنا، لكن هدول جماعة قالوا لي نحنا بدنا نكنسكم بالمكنسة، أو بالمقشة، أهل الشام بقولوا مقشة، يعني ن حنا بدنا نشيلكم بالمكنسة، أنا بحط كل مالي وبدي ذلّن، أمام بعضهم، أضع كل مالي، من أجل إيه؟ من أجل كلمة، ما أعرفه، هي ما أستطيع أن أنساها، ولا يمكن أن أعفو عنها، ولا يمكن أن أصفح عنها، شيخنا رضي الله تعالى عنه قال لهم: شوفوا يا أولادي، المشايخ بيكبروا لحاهم، هالمقشة إذا كبيرة بحطلكن ياها بلحيتي وخلاص، فاستحيا القوم، وبكوا، واصطلحوا، بحسن خلق الشيخ، وبديع إصلاحه بين الناس، إذن هذا شح ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. وأحضرت الأنفس الشح، تجد زوجين خلاف قام بينهما، كل منهما يستمسك، ولا يمكن على الإطلاق أن تجد ما بين الفريقين إنسانًا يمكن أن يلين جانبه، أو أن يخفض جناحه أمام ذلك، لذلك القرآن شوفوا لاحظوا هذه القضية، وأرجوكم أن تتنبهوا لها، ماذا قال القرآن ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، وماذا أتبعها بعد ذلك؟ ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. وأحضرت الأنفس الشح، هذا التعالي والغرور، والتصلب في الرأي، والألد الخَصِم، ألد خَصِم، ألد خَصِم، هذا ألد الخَصِم هو أبغض الرجال إلى الله، والهين اللين كما قال عليه الصلاة والسلام: "المؤمن هيّن ليّن سهل" وكما قال ﷺ: "ألا أخبركم بأحبّكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟" شو رأيك يا أبو سعد؟ الرسول عليه الصلاة والسلام يقول لكم: "ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ فماذا قال الصحابة؟ بلى يا رسول الله، دخيلك خبرنا، فماذا قال؟ "أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون" "أحاسنكم أخلاقا، الموطؤون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إلي، وأبعدكم عني مجالس يوم القيامة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الثرثارون المتفيقهون" هذا الألد الخَصِم، أنا عندي قوة، أنا عندي استعداد، أنا عندي أدلة، أنا استطيع أن أدين خَصِمي، لا يمكن أن أعفو، لا يمكن أن أصفح، لا يمكن أن أسامح، لا إله إلا الله، يا أخي أنا جئت إليك، لذلك لما يأتيه أخوه يوم القيامة، بيأتيه أخوه في الدنيا ليعتذر إليه ويرده فكأنما يرده على الله، جاء فاعتذر إليك، أبدًا لا أقبل منك، لا يمكن أن أقبل منك، لذلك هنا الصلح لا بد إلا كما قال القرآن، قبل أن يحضر مجلس الصلح ينبغي أن يأتي المتصالحان للتصالح مع نفسيهما، قبل أن يتصالح الواحد مع الآخر، فكل من أراد أن يصطلح مع الآخر فليصطلح مع نفسه أولًا، واصطلاحه مع نفسه، هو ذله وعبوديته، بين يدي الله، بيجد بأني عبد فقير أنعم الله علي، ولأضع أنا مساحة للآخر لعلي كنت مخطئًا ولم أدري، إياك أن تقول بأنك على صواب مطلق، قد تكون مخطئًا دون أن تدري، إذا اختلفت وجهات النظر، فعليك أن يلين جانبك، وأن يخفض جناحك، وأن تأتي بسمتك، وأن يكون تلاقيك مع أخيك حتى تُعين المصلح، وإلا كيف يمكن للمصلح أن يصلح بين فريقين كل منهما قد أخذ الشح مأخذه في نفسه، وأصبح الألد الخَصِم؟ لا يمكن أن يكون هناك صلح بين الفريقين، وما أجمل أن يكون كل من الفريقين على هذه النفسية الكريمة، لا عجب أن يأتي كل بدليله، أن يبين كل منا خطأ الآخر في حقه، هذا أمر حذري، ليس فيه شيء إطلاقاً، ولكن أن تكون الخاتمة والنتيجة هذه النفس الراضية المرضية الهنيئة، هذا الخلق الراقي الذي يتعامل به المؤمن مع المؤمن، لذلك القرآن الكريم أراد أن يقول لنا: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾. ولذلك القرآن الكريم قال لنا حتى إن الأمر قد يبلغ والعياذ بالله من اشتداد النفوس إلى أن يكون حرب من الكلام إلى الخصام إلى الأيدي إلى السلاح ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. إذن قد يأتي ذلك الخصام من كلام، من نظرة، من همز، من لمز، لذلك القرآن الكريم لما عبّر عن ذلك، قال نهانا عن التجسس، نهانا عن الحسد، نهانا عن الغيبة، نهانا عن الهمز، نهانا عن اللمز ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾. حتى لا نثير النفوس فيما بينها، لذلك القرآن الكريم قال: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾. هذا بغي، البغي وصل من شح النفوس إلى والعياذ بالله للقتال في الأيدي وإلى السلاح

﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾، قال: ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾. تقبلون أم لا تقبلون؟ فإن فاءت ماذا عليكم؟ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾. يعني ولو فعلت هذا الفعل الشنيع القبيح الذي دفعت فيه السلاح على أهلها، فإن فاءت رجعت، اعترفت بخطئها؟ فأصلحوا بينهما، أرجعوا الصلح لأجل أن يكون هو الأساس بين المسلمين، فأصلحوا بينهما، لكن شو قال القرآن؟ قال بالعدل، يعني لا يمكن أن يتجاوز عن خطأ أخطأوه، أو عن جريمة ارتكبوها، لا بد إلا أن يقوم سلطان العدل في هذا المقام، لكن من خلال ذلك الإصلاح نعم، فقال: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾. كذلك هنا عندنا الحديث، قال الحديث: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم" أي خَصِم؟ طبعًا اللدد شدة الخصومة، والاعتزاز والاغترار، والخَصِم هو الذي يحب أن يخاصِم الناس، هي صيغة مبالغة من خاصِم، فخَصِم عنده يعني ممكن هي صفة مشبهة إذا كانت ملابسة له دائمًا، فمثل أبو جهل كان خَصِمًا، صفة مشبّهة ثابتة عليه، لها الثبوت، ليست كسب الفاعل يفيد الحدوث، صفة مشبهة لها الثبوت عليه، لأنه هذا إنسان أراد أن تكون هذه الصفة صفته، فلذلك النبي ﷺ قال: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخَصِم" ثم يقول الحديث اللي بعده: عن سهل الساعدي كان رضي الله عنه، قال: كان بين بني عمرو -وهم من الأنصار رضي الله تعالى عنهم- قتال، والقتال المقصود فيه ما كان قتال بالسلاح، يعني المقصود بالقتال كان قتال بينهم بالأيدي، حتى وصل الخصومة اختلفوا، وهذا يدل على أن هذه الطبائع التي كانت قبل الإسلام لا بد إلا أن يبقى فيها أثر في النفوس، فبقي أثر ذلك في نفوس الصحابة، لأن الصحابة رضي الله عنهم من كانوا في بيئة اجتماعية أساسها الخصومات، ومنتهاها الحروب، فكانت الحروب غايةً لهم، وأية خصومة تفضي إلى هذه الحرب، فلذلك قامت خصومة، جاءت بعض من الأخلاق القديمة فسَرَت إليهم في لحظة من اللحظات، فأُخبِر الرسول عليه الصلاة والسلام بأن بعضًا من الأنصار قام بينهم قتال، مقصود القتال قام بينهم عراك بالأيدي، لكن لم يقم سلاح بينهم نعم، فالنبي ﷺ صلى الظهر ومضى، صلى الظهر ﷺ كما قال الحديث: فصلى الظهر ثم أتاهم ليصلح بينهم ﷺ، فلما حضرت العصر، النبي عليه الصلاة والسلام بقي عندهم من الظهر إلى العصر، هذا يدل على أن الأمر كان مشتدًّا بينهم، وتصوروا هنا من يريد أن يصلح بين الناس ينبغي أن يكون حليمًا، من لا يملك الحلم فعليه أن يبتعد عن الإصلاح بين الناس، أنتم تتصورون أن النبي ﷺ يأتي إلى هؤلاء القوم في بيتهم، ويبقى عندهم من الظهر للعصر وما انتهت المشكلة، كان المفروض في أذهاننا حين يأتي الرسول عليه الصلاة والسلام مجرد إتيانه عليه الصلاة والسلام إطفاء للمشكلة، مع ذلك النبي ﷺ صبر، وراح يعالج القضية من الظهر إلى العصر، صلى الظهر إمامًا، وذهب إلى بني عوف، وكانت المسافات شاسعات، المدينة المعطرة كلها كما تعلمون يعني الحرم الجديد هذا مع شيء إضافي بسيط جدًا والفنادق، هذه المدينة المعطرة، سألوا الشيخ ممتاز لما كان هناك فيها درّس قبل، نقول كم؟ نقول يا شيخ ممتاز؟ خليها مستورة، قبل أربعين سنة الشيخ ممتاز كان هناك، مو هيك؟ وأكثر كمان ها قلنا نخليها مستورة وهو قال أكثر، نعم سيدي؟ نصف قرن، هكذا المدينة، فذهب النبي ﷺ بقي عندهم هذه الفترة الطويلة إلى العصر، أذّن العصر، بلال رضي الله عنه أقام العصر -كما يروي الإمام البخاري في تتمة الحديث- فيقول رضي الله تعالى عنه، قال: فأذّن بلال وأقام، وأمر أبا بكر فتقدم، يعني بلال رضي الله عنه لما جاء وجد الأذان وقع، الوقت دخل، أقام الصلاة، النبي ﷺ في بني عوف، تقدم سيدنا أبو بكر الصدّيق فصلى إمامًا، تمام؟ طيب هنا انتهت الحمد لله المشكلة، عند صلاة العصر النبي ﷺ لم يدع حتى أنهى المشكلة، ولم يذهب لأداء صلاة العصر إمامًا، ألاحظتم كيف أنه وازن بين المصلحتين؟ فوجد أن تأخيره لصلاة العصر في حق نفسه أولى من أن يترك هاتين الفرقتين من المسلمين على خلاف بينهما، هذه مقاصد الشريعة، فالمصطفى عليه الصلاة والسلام تأخر عن أن يكون الإمام، وأَمَّ الصدّيق رضي الله تعالى عنه، حتى أنهى رسول الله ﷺ تلكم الخصومة التي قامت في بني عوف رضي الله تعالى عنهم، فإذا به ﷺ تقدم الصدّيق عليه الصلاة والسلام، وجاء النبي ﷺ وأبو بكر في الصلاة، الناس رأوا النبي ﷺ، فشقَّ الناس حتى قام رسول الله ﷺ خلف أبي بكر رضي الله عنه، فتقدم في الصف الذي يليه، قال: وصفَّح القوم، هذا التصفيح، صفحة على صفحة يعني، وصفّح القوم أي صفقوا، وصفّح القوم، وكان أبو بكر إذا دخل في صلاته لم يلتفت حتى يفرغ من الصلاة، هكذا كانت عادته في استغراقه في الصلاة، فلما رأى التصفيح لا يُمسَك عليه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه، فأومأ إليه النبي ﷺ بيده ﷺ، النبي عليه الصلاة والسلام اقتدى به، صار الإمام سيدنا الصدّيق، والمأموم سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام، فأومأ الرسول عليه الصلاة والسلام إليه أن امض، امض فيما أنت فيه، وأومأ بيده هكذا، ولبث أبو بكر هُنيّة، عم يفكر رضي الله تعالى عنه موقف صعب، أنا أتقدم إمامًا والرسول عليه الصلاة السلام مأموم؟ فوقف هنية، فحمد الله تعالى على قول النبي ﷺ، يعني ارتاح قلبه، وفرح هذا الفرح بأن يرضى رسول الله ﷺ أن يكون أبو بكر رضي الله تعالى عنه إمامًا له، فحمِد الله على هذه النعمة التي منحها الله تعالى إياه، وعلى قول النبي ﷺ له: امض أي ابق في مكانك يا أبا بكر، ثم مشى القهقرة، وهذا لأجل أن نتعلم أحكام الصلاة، لأنه لا ينبغي أن يلتفت عن القبلة، فإن التفت عن القبلة؟

بطلت صلاته، لذلك رجع القهقرة رضي الله تعالى عنه، ثم مشى القهقرة، فلما رأى النبي ﷺ ذلك تقدم، فصلى النبي عليه الصلاة والسلام بالناس، فلما قضى صلاته، قال: "يا أبا بكر، ما منعك إذ أومأت إليك ألا تكون مضيت؟" قال وهنا تجدون بقى أدب الإسلام، وروعة الإيمان، وروح اليقين، وأخلاقيات المصطفى ﷺ كيف تغلغلت في قلوب أصحابه "ما منعك إذ قلت لك امض يا أبا بكر؟" شو اللي منعك أن تبقى في مكانك؟ فإذا به رضي الله عنه وتغرورق عيناه بالدموع، ليقول: أي رسول الله، لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤمَّ النبي ﷺ، ما قال عن نفسه أبو بكر، إنما قال ما تقوله العرب إذا أرادت أن يعني تخفف من إنسان، فتقول: ابن فلان، ما تقول باسمه، فسيدنا الصدِّيق قال: ما كان لابن أبي قحافة، من أنا؟ من أنا حتى أؤمّك يا رسول الله؟ ما كان لابن أبي قحافة أن يؤم النبي ﷺ، ثم النبي ﷺ التفت إليهم فعلّمهم الحكم، وقال لهم: "إذا نابكم أمر فليسبِّح الرجال، وليصفِّح النساء" إذا نابكم أمر في الصلاة فأنتم لا تصفِّحون تصفيحًا، قولوا سبحان الله، والنساء يصفِّحون تصفيحًا، فتعلموا من الحديث بعد الصلح، إذن هذه أحكام طقسية شكلية للصلاة، لكن جاءت ونبعت من خلال أحكام مقصدية عظمى في الإصلاح بين الناس، أرأيتم كيف تمتزج قضية الإسلام ما بين الطقس والغاية، ما بين الشكل والمضمون، ما بين الصورة والروح؟ هكذا الإسلام الذي جاء به ﷺ، صلاة أدّاها، وحرص عليها، وكان حريصًا على إقامة الجماعة، ولكنَّ الحرص على إقامة الجماعة، والحرص على أداء الصلاة، والحرص على أداء المناسك، إذا كان مفصولًا عن هذه المقاصد، فإن هذه الصلاة مردودة في وجوه أصحابها، لا يمكن أن تكون هذه الصلاة هي المقبولة عند الله، وهي التي يمكن أن تؤدي بالأذى إلى المسلمين، ألا تجدون اليوم، أنا قرأت مقالًا لبعض الكُتّاب اليوم، يعني آلمني حقيقةً وأفرحني بآن معًا، يقول يعني الآن دخلت المسجد، فإذا بي إذا أردت السجود فأشم النتن من السجاد المفروش، ذلك أن هذا المتوضئ الضخم العظيم الذي يأتي متبخترًا، والمياه إنما تتساقط من ذراعيه ورجلاه الكريمتان إنما دججهما بالماء الوفير، فجاء فوق ذلك السجاد لأجل أن يطبع رجليه الكريمتين حتى يكون موضع سجود إخوانه المؤمنين، يعني هذا الإنسان الذي يفعل ذلك، هذا هل يفعل هل يفعل أمرًا إسلاميًا ناضجًا؟ كيف تضر أنت بإخوانك المؤمنين، ألا يعرف بأنه إذا جاء الماء إلى هذا الموكيت هذا السجاد، ماذا يحتفظ الماء الآن؟ بهذه العفونة، وهذه العفونة ماذا تشكِّل؟ تلك الميكروبات، غير الرائحة ميكروبات وأمراض، فهو جاء وهو يمشي طولًا وعرضًا أني أنا توضأت وفعلت الخيرات، إذن لا بد إلا أن نقرن دائمًا ما بين هذا الشكل الذي علمنا الإسلام إياه بهذا الذوق، شوف الصحابة رضي الله عنهم، رأوا الرسول ﷺ، فابتعدوا في الصف ليمضي رسول الله، سيدنا الصدِّيق إنما مشى القهقرة، تأدب مع المصطفى ﷺ، كل هذه الآداب إنما تأتي من خلال روح هذه الشعائر التي أكرمنا الله تعالى ففرضها علينا، ولكن حفظنا الشعائر حتى في الظاهر، يعني هذا إضرار بالناس لا يمكن، أو تجده جاريًا في المسجد لأجل أن يلحق الركعة، هل هذا هو الذي علمه الإسلام إياه؟ ليس هذا الذي علمه الإسلام إياه، كل هذه المظاهر التي نراها بأنها حرص على الظاهر، وبُعد عن الباطن، حرص على الصورة، وبعد عن المضمون، فلا بد أن تلتحم الصورة بحقيقتها، وأن يلتحم الظاهر بالباطن حتى يتحقق أمر الإسلام فينا، لذلك النبي ﷺ هنا، علمنا كيف يمكن أن يأتي الإنسان، ثم يقول هنا: عن أم كلثوم بنت عقبة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ، قال: "ليس بالكاذب مَن أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نمَى خيرا" رواه أبو داوود والبخاري. الإصلاح بين الناس يحتاج إلى حنكة، وإلى حكمة، وإلى صبر، وإلى حِلم، وإلى صدر واسع، أما لا يمكن لمن ليس له مثل هذه الصفات أن يُصلِح بين الناس، وإلى أن يفهم بأن الكذب في هذا المقام واجب، والصدق حرام، الصدق هنا حرام، من يصلح بين فريقين فالصدق حرام في حقه، كيف الصدق حرام في حقه؟ لأنه إنما يثير الفتنة ويزيدها، فلما جاء هذا المتخاصم أو المخاصِم لأجل أن يفضي له بما لديه، وراح يتكلم عن خصمه بما يرى بأنه متألم منه، أو بما يرى بأنه قد أصابه بضيم، إلى آخِر ما هنالك بين المتخاصمين، فهو يفضي إليه، فالمفروض أن يكون كاتمًا للسر واحدًا، ثانيًا لما يأتي يا أخي يأخذ المضمون، ويترك هذه الرتوش التي فيها شيء من الانفعال الذي يقوله ذلك المخاصِم، فإذا به الرجل صادق، والله يا أخي قال عنك: ما بيستطيع يشوف وجهك، وبيكرهك، وبيشوف أنت والله أكره من الشيطان، هيك قال أخي، أنا ذمتي، بدي برئ ذمتي أخي، أنا صادق ولا أعرف إلا أن أقول الصدق، هيك الرجال قال عنك، ما شاء الله حكيم جدًا، هذا رجل يُصلِح بين الناس، فهذا هذا آثم، لأن الكذب هنا وجب عليه بأن يقول له عكس ذلك، أثنى عليك خيرًا، قال عنك خيرًا، هو يودك، هو يحبك، كذلك بين الزوجين، بين الزوجة وزوجها، مو والله يعني يقول لهم ما يقوله كل منهم في الآخر، لذلك النبي ﷺ قال: "ليس بالكاذب مَن أصلح بين الناس فقال خيرًا أو نمَى خيرًا" وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟" شايفين؟ هذه الطقوس؛ صلاة، صدقة، صيام، قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "إصلاح ذات البين" قال: إصلاح ذات البين، إصلاح ذات البين أعظم ما يمكن أن يقوم به مسلم، فُرِّق فيما بين المسلمين، فُرِّق ما بين الأزواج، سلوا عن الطلاق وكم عدده، وسلوا عن الطلاق بين الشركاء، وسلوا عن

الطلاق بين الإخوة، وسلوا عن الطلاق ما بين الأب والأبناء، وعن الطلاق بين الأم والبنات، الطلاق ما صار فقط بين الزوج وزوجته، وسلوا عن الطلاق بين التلاميذ والمشايخ، وبين المشايخ والمشايخ، وبين الليبراليين وبين المتأنتجين كما يقولون عنهم، إلى آخر ما هنالك من هذه الأوصاف التي أطلقوها، فأصبحنا فِرَقًا، ومزقًا، وجراذم، وشظايا متناثرة، ليس بيننا جامع، والإسلام يدعونا إلى أن تجتمع منا الكلمة، وأن يأتلف منا الصف، وتنقى منا القلوب، ينبغي أن يخاطب الناس بقلوبنا التقية، صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله "ما تظنون أني فاعل بكم؟" ما تظنون أني فاعل بكم؟ فوالله خبرناك يا محمد صلى الله عليك يا رسول الله، هذا كان لمن الخطاب للمسلمين ولا للمشركين؟ للقتلة والسفاحين الذين قتلوا وسفحوا، والذين فعلوا ما فعلوا؟ أخ كريم وابن أخ كريم، هذه صفاتك، هذه خبرناك على مدار الزمان الذي عرفناك به، اذهبوا فأنتم الطلقاء، يا ناس أَخَوَان لا يصطلحان، زوجة وزوج وَلْيكن بينهما خلاف، والله أنا أذكر يا أخي إحدى المسلمات أحد من إخوانا من تلاميذنا، هاد سنة اثنين وثمانين ميلادي الشيخ ممتاز بيذكرنا الآن بالسنوات، كنت في أمريكا فواحد من إخوانا متزوج أمريكية مسلمة، ما تفاهمت معه، كان عنده غرين كارد، ولسا مو آخد الجنسية، فكانت مفاهيمها الإسلامية، قالت لي: أولًا أنت الآن تصلح بيننا، هل يكون صُلحك بعد الصلح أنت تنظر إلي على أني مسلمة وينبغي أن تعينني، أم فقط لأنه هاد تلميذك؟ لا، أنتِ مسلمة، فقالت يعني كان الأمر أن نفرّق بينهما، يعني كان مع الرقي في العرض، مع البيان بكل رقي، فقالت لي: لكن أنا لن أنفذ الطلاق الآن، لأن الطلاق يضر بزوجي السابق، أنا حساوي طلاق شرعي، لكن طلاق قانوني لن أقوم به حتى يأخذ الجنسية، هذه امرأة، أسلمت فتاة، قد والله في أديه؟ خمسة وعشرين سنة، ثلاث وعشرين سنة، فتاة ما هي كبيرة بالسن، قلت هذه والله فهمت الإسلام لك يا أخي، والله فهمت الإسلام ولا ما فهمته يا أخي؟ فهمت الإسلام؟ فهمت مقاصده؟ فهْمت مقاصده؟ قالت لي أنا بصير طلاق خير إن شاء الله، لكن لن أقوم بالشيء القانوني أمام الدولة حتى يأخذ جنسيته، لا يضر، فنحن ماذا نفعل هنا؟ ماذا يفعلون؟ كلهم والعياذ بالله يتنمر، ويريد أن يشفي غيظ قلبه، ويريد أن يفعل ما يفعل، يا لطيف يا لطيف، والقرآن قد قال: ﴿وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾. ولا تنسوا الفضل بينكم يا أخي، هذه الأخلاقيات والله يا إخوانا بكل ألم، وبكل أسى، والجرح يدمي القلوب، ما نراه بين المسلمين، ما نراه بين المسلمين أنه ما يصير خلاف، ممكن أنه والله ما يكون في هناك وفاق، هاد أمر قائم، وقد قام بين الصحابة الكرام رضي الله عنهم، السيدة زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ما استطاعت أن تتعايش مع سيدنا زيد بن حارثة، ولا لا؟ مَن زيد رضي الله عنه ومن السيدة زينب؟ مِن أكرم ما خلق الله، تمام ولا لا؟ لكن طبيعتان ما تعايشتا مع بعضهما، إلا أنه هل هناك قد قامت هذه المعارك التي تقوم اليوم والعياذ بالله؟ بصيروا فريق، صار أهل الزوجة فريق والعياذ بالله، قبائل العصبية انتقلت والعياذ بالله، نفس العصبية الجاهلية السابقة انتقلت اليوم بصورة شرعية، نحن نريد أن نحافظ على حق بنتنا، أنا هون حضرت هنا قضية وسيطًا كنت فيها، حتى يعني الرجل وهو مَعيب، وأنا أعرفه إنه معيب، وعنده كتير عيوب، المفروض أن يعني يطلِّق القاضي عليه رغمًا عنه، مع ذلك أهل الزوجة طلبوا منه الخلع، قال: ما أخلع، إلا بمليون ريال، إلا بمليون ريال، يعني الناس والعياذ بالله أصبحت ذئابًا تَعالِي، ليس عندهم هذه الطبائع الإيمانية، لذلك الإيمان هنا يعلمنا كيف أن هذه الحالقة تحلق أيش؟ تحلق الدين، ولا تحلق الشعر، شوفوا بأيش عبّر عنها النبي ﷺ، إذن يقول عليه الصلاة والسلام هنا: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البَيْن الحالقة" رواه أبو داوود والترمذي، وزاد: "لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين" نسأل الله تعالى السلامة.

في حديث عن النبي ﷺ بيقول فيه، فيما رواه الإمام مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أن رسول الله ﷺ، قال: "تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفَر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال له: أنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا" ثلاث مرات قالها النبي ﷺ، فالله يرضى عليكم إذا حدا زعلان مني أقبّل قدمه الآن، وأستسمحه أرجوكم، ربما يكون المتكلِّم بالكلام أحيانًا يطلع منه خطأ، فأرجوكم إن كنت قد أسأت إلى واحد فيكم فأقبّل قدمه وأرجو أن يعفو عني، يا إخوانا يعني شو نحنا الآن؟ يعني نحن مع بعضنا إخوان متحابين، شوف شلون في شوف القضية هذه الخطيرة والعياذ بالله بقلك النبي ﷺ، أعيد الحديث عليكم: "تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل من لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا، أنظروا هذين حتى يصطلحا" في حديث آخر ولو ضعيف لكن سأذكره، بعضهم حسّنه وبعضهم ضعّفه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه، وقلَّما يضحك النبي ﷺ، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله، بأبي أنت وأمي؟ قال: "رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا ربِّ، خذ لي مَظْلِمَتي من أخي، خذ لي مَظْلِمَتي من أخي" يقال: مظلِمة، ظُلَامة ومظلِمة مو مظلَمة، بالكسر، يا ربي خذ لي مَظْلِمَتي من أخي، واحد له

حق عند الآخر، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب، فليحمل من أوزاري، يأخذ من سيئاتي، قال: وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: "إن ذاك اليوم عظيم، يحتاج الناس أن يُحمَل عنهم من أوزارهم، فقال الله تعالى للطالب: ارفع بصرك، فانظر في الجنان، فرفع رأسه، فقال: يا رب، أرى مدائن من ذهب، وقصورًا مكلَّلة باللؤلؤ، لأي نبي هذا؟ أو لأي صدِّيق هذا؟ أو لأي شهيد هذا؟ قال: هذا لمن أعطى الثمن، قال: يا ربِّ، ومن يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه، قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: بعفوك عن أخيك، قال: يا ربِّ، فإني قد عفوت عنه، قال الله عز وجل: فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة، فقال رسول الله ﷺ: اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله يصلح بين المسلمين"

نسأل الله تعالى أن ينقي قلوبنا من كل حقد، وأن ينقي أنفسنا من كل سآمة، وأن يجعل قلوبنا قلوبًا تقية نقية بريئة طاهرة نظيفة، خالية من كل عين ووَضَر، وخالية من كل خطر، وخالية من كل حسد، وخالية من كل حقد، اللهم إنا نسألك يا أرحم الراحمين إن أسأنا إلى عبادك أن تلهمهم أن يسامحونا، وأن يتجاوزوا عنا، وأن تتجاوز عنا يا أرحم الراحمين، اللهم وإنا نُسقِط جميع حقوقنا ممن تكلم علينا، أو ممن أساء إلينا، اللهم اغفر لهم وارحمهم، اللهم عافهم واعف عنهم، اللهم يا ربِّ اجزهم خيرا، اللهم يا ربي إنا نسألك أن تلهمنا الرشد والصواب، وأن تجعلنا يا ربنا يوم القيامة من غير حساب نأتيك بفضلك يا أرحم الراحمين، تَمنُّ علينا بفضلك، وتعطينا من عطائك، وتجعلنا من أهل كرمك وجودك يا أرحم الراحمين، مُنَّ علينا ما منيت على عبادك الأبرار، نقِّ قلوبنا من كل وصف يباعدها عن مشاهدتك ومحبتك برحمتك يا أرحم الراحمين، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، وصلى الله على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وإلى درس قادم بعد أن نسمع.